المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

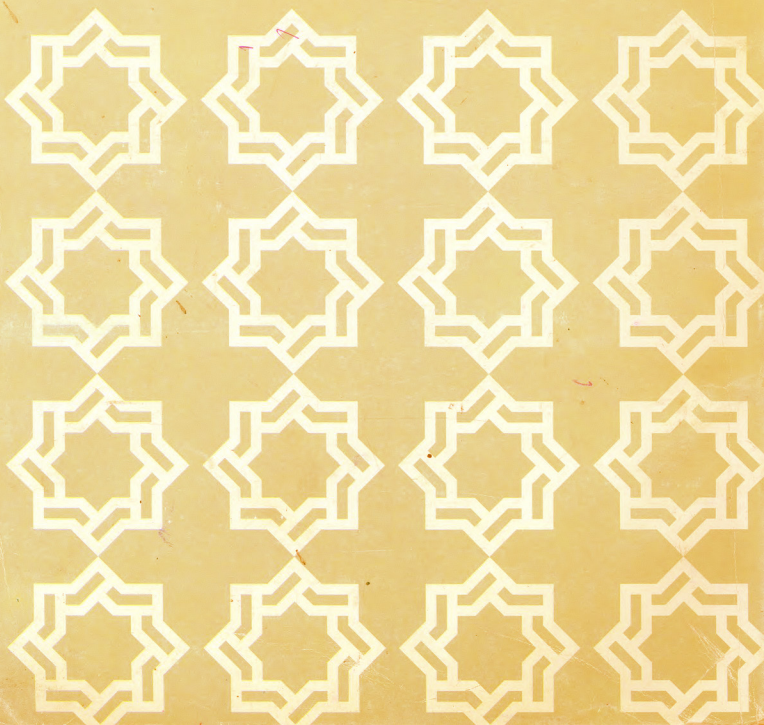

الأضداد وموقف ابن درستويه منها

بقلم

عبد الله الجبوري

امين مكتبة الاوقاف العامة ـ بغداد

الاضداد من المباحث التي شغلت اهل اللغة من الاقدمين ، وآثروها بالتأليف والدرس ، وبما ان لابن درستويه رايا مهما فيها ، افضت في درسها بشيء من السعة والبسط .

وهي عندهم :(١) « جمع ضد ، وضد كل شيء ماناقاه ، نحو البياض والسواد والسخاءوالبخل والشجاعة والجبن ، وليس كل ما خالف الشيء ضدا له » .

وافردها بالتأليف طائفة من اللغويين المتقدمين وبعض المتاخرين ، وهم : قطرب ابو علي محمد بن المستنير(٢) (ت/٢٠٦ هـ) ، وكتابه منشور في مجلة Islamica (اسلاميكا) المجلد الخامس ، في الصفحة (٢٤٧ ـ ٣٨٥) وما بعدها و ص٤٩٣ ، سنة ١٩٣٢ م ، بعناية المستشرق هانزكوفلر ، والاصمعي(٣) عبدالملك بن قريب (ت/٢١٦ هـ) ، وابن السكيت يعقوب بن اسحاق (ت/٢٤٦ هـ) والسجستاني ابو حاتم (ت/٢٥٥ هـ) وقد طبعت هذه الكتب الاربعة في مجموعة واحدة في بيروت ، ١٩١٢م ، نشرها الدكتور أوغست هفنر ، والتوزي عبدالله بن محمد (ت/٢٣٠ هـ) ـ على رواية ـ ذكره المبرد (ت/٣٨٥ هـ) في (الكامل)(٤) ، ونقل منه ، قال المبرد : « .. حدثني بذلك التوزي في كتاب (الاضداد) وانشدني .. » ، وذكره القفطي في : (انباه الرواة)(٥) ، ورواه ابن خير الاشبيلي (ت/٥٧٥ هـ) في (الفهرس)(٦) ، والسيوطي(٧) ، ولم يصل الينا ، ولثعلب أحمد بن يحيى (ت/٢٩١ هـ) جزء في الاضداد كما ذكر ابن خير الاشبيلي(٨) .

ولابي عبيد القاسم بن سلام كتاب (الاضداد) نقل منه السيوطي في (المزهر)(٩) .

ثم جاء بعد هؤلاء اللغويين ، ابن الانباري ابو بكر محمد بن القاسم (ت/٣٢٨ هـ) فافاد من جهود المتقدمين في الاضداد ، حيث ادلى بدلوه معهم ، وقد اراد مؤلفه ان يكون جامعا لكتب المتقدمين(١٠) ويستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه التعليل وزيادة الفوائد ، وقد جمع فيه ثلثمائة وسبع(١١) وخمسين مادة يوهم فيها التضاد .

---

(١) الاضداد لابي الطيب ١/١ ، والاضداد لابن الانباري ص/١ والمخصص ٢٥٨/١٣ (الاضداد) .

(٢) وهم الاستاذ خير الدين الزركلي في الاعلام ٣١٥/٧ ، حيث عده مخطوطا .

(٣) يميل الدكتور رمضان عبد التواب الى ان (اضداد) الاصمعي المطبوع هو نسخة مكررة من (اضداد) ابن السكيت ، والاول مفقود ، مجلة المكتبة ـ بغداد ، ع/٥٥ ص/٦ (١٩٦٦ م) ، وينظر ص/١٦٣ من مجموعة كتب الاضداد ، وكتاب (ابن السكيت اللغوي) ص/٢٤٨ و/٣٤٥ ـ ٣٤٧ .

(٤) ج١/٢٥٥ (ط / ابو الفضل ابراهيم ، السيد شحاتة) .

(٥) ١٢٦/٢ .

(٦) ص/٣٨٤ .

(٧) المزهر ٣٩٧/١ .

(٨) في الفهرس ص/٣٨١ .

(٩) ٥٨١/١ .

(١٠) الاضداد لابن الانباري ص/١٣ .

(١١) ذكر الدكتور صبحي الصالح في كتابه (فقه اللغة) ص/٢٥٩ ، ان ابن الانباري جمع في كتابه (الاضداد) مايزيد على اربعمائة كلمة وهو ليس بصواب .

ومن كتب الاضداد أيضا (الاضداد) لابي الطيب اللغوي (ت/٣٥١ هـ) وقد نشره الدكتور عزة حسن ، بجزئين في دمشق ، ١٩٦٣ م ، ونشر الفارابي اسحاق بن ابراهيم (ت/٣٥٠ هـ) شيئا من الاضداد في مادة كتابه (ديوان الادب)(١٢) ولابن فارس (ت/٣٩٥ هـ) ، ذكره في الصاحبي(١٣) بقوله : (... وانكر ناس هذا المذهب ـ التضاد ـ وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده ، وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه) .

وقفى على آثار هؤلاء اللغويين ابن الدهان سعيد بن المبارك (ت/٥٦٩ هـ) الذي نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين ، في النجف ١٩٥٢ ، ثم اعيد طبعه في بغداد ، سنة ١٩٦٣ م (سلسلة نفائس المخطوطات) .

واخر من الف في الاضداد من المتاخرين : الصغاني رضي الدين الحسن بن محمد (ت/٦٥٠ هـ) وكتابه نشر لحقا بمجوعة كتب الاضداد في بيروت ، ومن المعاصرين(١٤) عبدالهادي نجا الابياري (ت/ ١٣٠٥ هـ) الذي اثر عنه ان له منظومة باسم : (دورق الانداد في اسماء الاضداد) .

ومناهج هؤلاء اللغويين شتى في تناولهم لمادة الاضداد ، وبخاصة المتقدمين منهم ، أمثال : الاصمعي ،وابن السكيت ،وقطرب ،والسجستاني، فلم نعثر لهم على وجه حدا بهم الى التاليف بهذا اللون اللغوي ، اللهم الا اننا وجدنا ابا حاتم السجستاني ، يلمع في كتابه (الاضداد) الى علة وضعه ، حيث قال(١٥) : « حملنا على تأليفه ـ الاضداد ـ انا وجدنا من الاضداد في كلامهم والمقلوب شيئا كثيرا فأوضحنا ما حضر منه . » .

وان الباحث يفهم ـ ضمنا ـ من كلامهم ، ان (فكرة الاضداد) لم تكن واضحة عند بعضهم ، فربما حشروا في كتبهم (الاضداد) ما ليس من الاضداد ، كما نجد ذلك واضحا عند السجستاني ، حتى ان اسم كتابه : « المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته و ـ الاضداد ـ » . وقد صرح بهذا أبو الطيب اللغوي ، حيث قال(١٦) : « فالاختلاف أعم من التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين ، ونرى من سبقنا الى هذا الكتاب قد ادخل فيه ما ليس فيه . » .

والناظر في كتاب السجستاني يجد مادة وفيرة ليست من الاضداد وقد وضحت (فكرة الاضداد) عند ابن الانباري ، الذي وضع كتابه ردا على تهم الشعوبيين ، ودفاعا عن العرب ولغتهم ، قال(١٧) : « ويظن أهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم » .

وربما كان الحس اللغوي الذي اتقد عند هذه الطائفة من أهل العربية هو الذي حدا بهم الى جمع الاضداد ، ليرفعوا من شأن لغتهم ، ويقيموا الدليل على اتساعها في الكلام(١٨) ، كما زاحفوا في اجزاء الشعر ، ليدلوا على ان الكلام واسع عندهم ، وان مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب(١٩) .

نشأة الاضداد :

ان الاستقراء اللغوي التاريخي والوقوف على لهجات العرب، والنظر الفاحص في متن اللغة العربية يدل الباحث على الجذور التأريخية لنشأة الاضداد.

ولم نجد أحدا ممن عالجها من المتقدمين أشار الى ذلك ، اللهم الا ابن فارس (ت/٣٩٥ هـ) الذي المع الى نشأتها لمحا ، في ثنايا كتابه : (الصاحبي)(٢٠) والسيوطي في ثنايا عرضه لمادتها ، عند نقوله من مقالات الاقدمين ، في كتابه (المزهر)(٢١) .

فأخلص من هذا الفاتح الى أسباب نشأتها ، واجملها فيما هو آت :

اولا ـ تباين لهجات العرب ، وافتراق معاني طائفة من الالفاظ عندهم ، ومعلوم عند اهل اللغة ان لكل حي من العرب لهجة ، تنتمي جمهرة من الالفاظ اليه وما أمر لفظة (ثب)(٢٢) ببعيد عن الدارسين ، فهي لغة حمير (اليمن) بمعنى : اقعد وعند عامة العرب بمعنى : اقفز ، وكذلك (السدفة) فهي عند تميم بمعنى : الظلمة ، وعند قيس بمعنى : النور ، وعند التقاء هذه القبائل في الحرب والسلم ، وفي أسواقهم المعروفة ، حصل تبادل بين هذه اللهجات ، حيث تسرب هذا التبادل الى اذهان

---

(١٢) مازال مخطوطا ، ينظر : الورقات : ١٢ ، ٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٢٥ .
(١٣) ص/٩٨ .
(١٤) آداب زيدان ٤/٢٣٧ ، تراجم مشاهير الشرق ١٨١/٢ .
(١٥) الاضداد للسجستاني ص/٧٢ من مجموعة كتب الاضداد.
(١٦) الاضداد لابي الطيب ١/١-٢ .
(١٧) الاضداد لابن الانباري ص/١ .
(١٨) الاضداد لقطرب ص/٢٤٧ ، وابن الانباري ص/٨ .
(١٩) الاضداد لقطرب ص/٢٤٧ ، وابن الانباري ص/٨ .
(٢٠) ص/٥٠ ـ ٥١ .
(٢١) ٣٩٩/١ ـ ٤٠٢ .
(٢٢) ينظر الصاحبي ص/٥١ والمزهر ٣٩٠/١ .

الرواة واستقر في كتب اهل اللغة المتقدمين ، وقد اقر الاسلام هذه اللهجات(٢٣) حيث رخص بقراءة القرآن بها ، وربما كان ذلك لغايات سياسية أو لغوية ؛ حيث اراد جمع كلمة الامة ، ممثلة في قراءات القرآن ، وان لكل قبيلة نصيبا من لهجتها فيه ، وقد ذهب اخرون الى ان ما ورد في القرآن من (المعرب)(٢٤) كان من وحي مذهب التوحيد العالمي الذي جاء به الدين الجديد .

ومن هنا نشأت القراءات ؛ أساسها اللهجات العربية ، حيث اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال(٢٥) : « انزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤا بما شئتم » .

ثانيا ـ ان التطور التاريخي للغة العربية الذي جرى على طائفة من الاستعمالات اللغوية عند العرب، كان له اثرا مباشرا في نشوء الاضداد ، كما اكتسبت لفظة (القرء)(٢٦) معنى الضدية مثلا التي استقرت في كتب المتفقهة ، وهم عليها في نزاع .

ثالثا ـ التوسع في سلوك طرق الفصاحة ؛ والتفنن بأساليب البلاغة التي تعتمد الاستعارات والمجازات والتشبيهات ، وقد المح الى هذا السبب أبو علي الفارسي ومن هنا نشأ المشترك(٢٧) اللفظي ، ثم ان بعض الفروع التي انفصلت عن هذه الاسباب ، أمثال : التطير(٢٨) عند العرب ، والتهكم ، والابهام في المعنى الاصلي قد شاركت في نشوء الاضداد ؛ وهذه تدخل في باب الدراسات الاجتماعية(٢٩) للغة العربية .

المشترك اللفظي :

ذهب علماء اللغة(٣٠) الى القول بأن الاضداد قسم من (المشترك) وقد فرقوا بين هذا التعميم بقولهم : ان المشترك يتحد في اللفظ ويختلف في المعنى ، بينما الاضداد تتباين معانيها ، وقد عالجه السيوطي في(٣١) : (المزهر) وهو يتحقق عندما تؤدي كلمة لاكثر من معنى ، وبدون النظر الى المعنى اكان متضادا ام لا(٣٢) .

وقد كتب اهل اللغة المتقدمون في (المشترك اللفظي) ، ومنهم : ابو العميثل عبدالله بن خليد (ت/٢٤٠ هـ) في كتابه(٣٣): (ما اتفق لفظه واختلف معناه) .

وابو عبيد القاسم بن سلام (ت/٢٢٤ هـ) في كتابه(٣٤) : (الاجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى) ،وهو منتزع من كتابه :(٣٥) « غريب الحديث » .

والاصمعي عبدالملك بن قريب (ت/٢١٦ هـ) وكتابه مفقود ، وكذلك اليزيدي يحيى بن المبارك (ت/٢٠٢ هـ) .

وابن السكيت (ت/٢٤٦ هـ) ، الذي ذكر ان له كتابا باسم : (ما اتفق لفظه واختلف معناه) . كما ذكر النجاشي في رجاله(٣٦) .

والاحول(٣٧) محمد بن الحسن بن دينار ، ابو العباس (كان حيا سنة ٢٥٩ هـ) في كتابه : (ما اتفق لفظه واختلف معناه) .

والمبرد محمد بن يزيد (ت/٢٨٥ هـ) في كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد) .

وكراع(٣٨) النمل علي بن الحسن ابو الحسن (ت/٣١٠ هـ) في كتابه : (المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه) ، والذي حصر فيه اكثر من تسعمائة من الكلمات التي اوقعها العرب على (المشترك اللفظي) . حيث عالج فيه الكلمات التي يحمل كل منها أكثر من معنى سواء أكان المعنيان

---

(٢٣) ينظر : كتاب (القراءات واللهجات) لعبدالوهاب حمودة ص/٦ـ١٠ وفيه تفصيل كاف لهذه المسألة .

(٢٤) الصاحبي ص/٦١ والمهذب فيما ورد في القرآن من المعرب للسيوطي ص/١٠٢ .

(٢٥) الابانة عن معاني القراءات ، ص/٢ و ٦٣ ، وفي اللهجات العربية ص/٥٧ ، ٥٩ ، والمزهر ٤٠١/١ ، النشر ١٩/١ وغريب الحديث ١٥٩/٣ .

(٢٦) الاضداد للاصمعي ص/٥ .

(٢٧) المزهر ٤٠٦/١ وفي اللهجات العربية/١٩٣ ، ١٩٥ ، ودلالة الالفاظ/١٢٨ .

(٢٨) في اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص/٢٠٨ ـ ٢١١ ، والتطور اللغوي التاريخي ، للدكتور ابراهيم السامرائي ص/١٠٣ .

(٢٩) التطور اللغوي التاريخي ص/٩٢، ٩٦، و (ابن السكيت اللغوي) ص/٢٥١ .

(٣٠) (الاضداد) لفايل ، دائرة المعارف الاسلامية ٢٩١/٢ ، ومجلة مجمع اللغة العربية م/٢٩/٢٣١ .

(٣١) ٣٨٧/٣٦٩/١ .

(٣٢) مجلة مجمع اللغة العربية ، م/٢٣ ص/١٠٤ ، مبحث للدكتور احمد مختار عمر .

(٣٣) طبع في لندن ١٩٢٥ م ، بعناية كرنكو ، وعندي منه (مخطوطة مصورة) كتبت في سنة/٢٦٩ هـ .

(٣٤) طبع في الهند/بمبي ، سنة ١٣٥٦ ـ ١٩٣٨م ، بعناية السيد امتياز علي عرشي الرامفوري . في (٤٠) صفحة صغيرة .

(٣٥) مقدمة الاجناس ص/٣ .

(٣٦) ج٣١٢/٢ .

(٣٧) تاريخ بغداد ١٨٥/٢ ، الفهرس ص/٧٩ ، ارشاد الاريب ١٢٥/١٨ .

(٣٨) مازال مخطوطا ، انظر مبحثا عنه في مجلة مجمع اللغة العربية م/٢٣ ص/٩٣ للدكتور احمد مختار عمر .

متضادين(٣٩) أم لا ، وقد افرد له الميداني احمد بن محمد (ت/٥١٨ هـ) بابا في كتابه(٤٠) : (السامي في الاسامي) .

ولابن خالويه(٤١) (ت/٣٧٠ هـ) كتاب : (تقفية ما اتفق لفظه واختلف معناه) لليزيدي .

ومن العلماء(٤٢) الذين اثبتوه (المشترك اللفظي) : الخليل بن احمد ، وسيبويه وابو زيد الانصاري ، وابن الاعرابي وابو عبيد القاسم بن سلام ، والاصمعي وابن دريد ، وابن الانباري ، وابن فارس .

ادلة منكريها :

اشار اكثر الباحثين المعاصرين الذين عرضوا للاضداد(٤٣) ، ان جماعة من اللغويين انكرت الاضداد وعلى راسها ابن درستويه .

ومع حرصنا على تقصي اسماء هذه الطائفة المنكرة للاضداد من المتقدمين فلم نعثر على غير ابن درستويه ، واحد شيوخ ابن سيده (ت/٤٥٨ هـ) الذي اشار اليه في المخصص (١٣/٢٥٩) ولم يذكر اسمه حيث قال : « وقد كان احد شيوخنا ينكر الاضداد التي حكاها اهل اللغة . » أ هـ .

اذن فابن درستويه هو الذي انكر الاضداد وابطلها ، ولم يعرف هذا الانكار لها عن غيره من المتقدمين ، فنرى بماذا استدل في ابطالها ؟

ذكر ابن درستويه انه الف كتابا في (ابطال الاضداد)(٤٤) واشار اليه في موضعين من « التصحيح » في الورقة (٨ و ٢٥٦ ــ أ) ، ونقل منه شيئا في تعزيز ما ذهب اليه .

قال ابن درستويه(٤٥) : « النوء : وهو الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب قد ناء ، اذا طلع ينوء ، وقد قيل للجارية الممتلئة اللحيمة اذا نهضت قد ناءت ، وللدابة قد ناء بحمله ، اي نهض ، ومنه قول الله عز وجل(*) : « ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة » .. وقد زعم قوم من اللغويين ان النوء السقوط ايضا ، وانه من الاضداد وقد اوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا : في ابطال الاضداد ، وليس هذا موضع ذكره » أ هـ .

وقال(٤٦) : « ان الشصايص جمع الشصوص وهي المهزولة التي لالبن لها لاولاد الابل ولا صغارها، ولا يسمى صغار الابل ولا اولادها شصايص ،والابل المهازيل وان قل لحمها فالواحها وخلقها عظام . وقد بينا من تفسير هذا الشعر وغيره في كتاب « ابطال الاضداد » وما لا يصلح ذكره ها هنا » أ هـ .

وهذا الكلام في معرض رده على ابي عبيد القاسم بن سلام(٤٧) (ت/٢٢٤ هـ) الذي زعم ان النبل في حديث الاستنجاء الحجارة الصغار ، وانه من الاضداد ايضا واحتج بقول الشاعر(٤٨) :

افرح ان ارزا الكرام وان
اورث ذودا شصائصا نبلا

قال ابن درستويه(٤٩) : « وهذا غلط من كل من قال به » أ هـ .

والاسماء عنده ، سميت بمسميات مختلفة الخلق والصور والمعاني ، والافعال كاختلاف اسمائها المشتقة لها من افعالها ، وليست هذه الاسماء لشيء واحد من الاعضاء كما يتوهم اهل اللغة .

ان هذه النصوص الثلاثة التي ذكرها ابن درستويه لا تصرح بالعلة المبطلة للاضداد ، وانما يستشف منها انه اراد في مقالته المنكرة للاضداد ان العرب اوقعت الحروف (الكلمات) على معان متحدة ، وكل كلمة وضعت لتؤدي المعنى المرجو من بنيتها وليس المراد من وضعها ان تحتجن معاني شتى .

ولا نراه ينكر على العربية سعتها وشمولها ،

---

(٣٩) مجلة مجمع اللغة العربية م/٢٣ ص/٩٣ .
(٤٠) ص/٣٢١ ــ ٣٢٨ .
(٤١) انباه الرواة ١/٣٢٦ .
(٤٢) (اللفظ المشترك في اللغة العربية) مبحث للشيخ محمد الطاهر بن عاشور في مجلة الهداية الاسلامية ــ القاهرة ــ م ٦ ج ٦ ص/٣٠٢ . وفقه اللغة للصالح ص/٣٥٠ .
(٤٣) ينظر : الاضداد لابن الانباري ، ص/أ المقدمة للاستاذ ابو الفضل ابراهيم ، والاضداد لابي الطيب ١/١٧ المقدمة للدكتور عزة حسن والتطور اللغوي التاريخي ص/٩٠ ، وفقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ص/٣٦٠-٣٦٥ ، و (ابو الطيب اللغوي) لعادل زيدان ص/٨٤ .
(٤٤) ينظر : كتاب : (ابن درستويه ، حياته وآثاره) لكاتب الكلمة تحت الطبع .

(*) الآية / ٧٦ من سورة القصص .
(٤٥) و (٤٦) التصحيح /٢٥٦ــأ .
(٤٧) في الغريب المصنف ، (مخطوط) ق/١٥٧ــأ .
(٤٨) هو : حضرمي بن عامر ، ينظر عنه : معجم الشعراء ص/٨٤ (ط / كرنكو) والاصابة ٢/٢٤ ، والخزانة ٢/٥٦ ، والبيت في : البيان والتبيين ٣/٣١٥ ، وليس في كلام العرب ص/١٨ وديوان الادب (مخطوط) الورقة /٣٣ ــ أ ، ٥١ ــ أ .
(٤٩) التصحيح /٢٥٦ــب .

ولم يقل بضيق الكلام عند العرب في الخطاب والاطالة والاطناب ، انما انكر الاضداد لتمسكه بالقياس واخذه باصوله ، مما جعله يلغي المسموع الصحيح اذا خالف القياس ، ويأخذ بالمقيس المطرد المختار وان لم يسمع ، وهذا هو راي اهل القياس (مذهب البصريين) في اللغة(٥٠) والنحو .

لذلك نرى ابن فارس (ت/٣٩٥ هـ) ينكر عليه مقالته ، ويؤلف كتابا في نصرة الاضداد ، حيث قال(٥١) : « ومن سنن العرب في الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للاسود،والجون للابيض ، وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده » .

وان ابن الانباري نفسه اشار في كلامه في (الاضداد) (٥٢) ـ ضمنا الى ان اللفظة لايمكن ان تدل على الشيء وضده في الوقت نفسه ، أما خصوصية التضاد فهي مستفادة من خارج اللفظة(٥٣) .

والتضاد : اتساع ومجاز في الكلام ، وهو على وفرة ما الف فيه ليس بالقدر المهم في كلام العرب ، فعدد الكلمات الثلثمائة والسبع والخمسين وهي اكبر قدر جاء به ابن الانباري(٥٤) من الكلمات التي اوقعتها العرب على معان متضادة يمكن ارجاع جمهرة منها الى (المشترك اللفظي)(٥٥) .

وقد تنبه الى هذا جلال الدين السيوطي (ت/٩١١ هـ) في (المزهر)(٥٦) وعنون (باب الاضداد ـ النوع السادس والعشرون) بالمشترك ، ونقل عن أهل الاصول مقالتهم : « مفهوما اللفظ المشترك أما ان يتباينا ، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد ، كالحيض والطهر .. فانهما مدلولا القرء . » اهـ .

ونقل من كتاب (الحاصل) قول مؤلفه تاج الدين الارموي(٥٧) محمد بن الحسين (ت/٦٥٣ هـ) ـ مخطوط ـ(٥٨) : « (٥٩) ان النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد لأن المشترك يجب فيه افادة التردد بين معنييه ، والتردد في النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ . » اهـ .

وقد تنبه لهذه الحقيقة اهل الاصول ، وهم من اشد العلماء حرصا في الغوص على العربية وخصائصها ، والتفقه بها من اقوى اركانهم ، وقد افادوا العربية بمباحثهم فوائد جليلة(٦٠) ، فكيف بأهل اللغة ، المنقطعين لدرسها والتبحر فيها ؟

الاضداد واهل التفسير :

ولعل مقالة الاضداد هذه ، هي التي جرت جمهرة من أهل التفسير واللغة الى التأليف فيما أسموه : « ما اتفق لفظه واختلف معناه » وقد الف فيه جماعة من الاقدمين منهم : ابو عمر حفص بن سليمان الدوري(٦١) (٩٠ هـ ـ ١٨٠ هـ) في كتابه: (فيما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن)(٦٢) . والمبرد (ت / ٢٨٥ هـ) بكتابه : (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) ، قال المبرد : (هذه حروف ألفناها من كتاب الله عزوجل متفقة الالفاظ مختلفة المعاني ، متقاربة في القول مختلفة في الخبر ... لأن من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين . » اهـ .

ومن الذين الفوا في هذا الباب ايضا ، الكسائي علي بن حمزة (ت/١٨٩هـ) في كتابه : (مشتبهات القرآن)(٦٣) ، والثعالبي ابو منصور عبدالملك بن محمد (ت/٤٢٩هـ) ، في كتابه : (الاشباه والنظائر)(٦٤) ، وابو نصر رواية عن مقاتل بن سليمان ، في كتابه : (الوجوه والنظائر)(٦٥) ، وابن الجوزي عبدالرحمن ابو الفرج (ت/٥٩٧ هـ)

---

(٥٠) مدرسة القياس في اللغة ، مبحث للدكتور احمد امين ، في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، م/٧ ص/٣٥١ ، ١٩٥٣ م ، وكان قد نشره اولا في مجلة المجمع العلمي العراقي م/١ ص/٩٥ (١٩٥٠م) .

(٥١) الصاحبي ، ص/٩٦ ـ ٩٧ (ط / بيروت) .

(٥٢) الاضداد لابن الانباري ص/١ ـ ٢ .

(٥٣) التطور اللغوي التاريخي ص/٩١ .

(٥٤) الاضداد لابن الانباري ص/٤٢٦ .

(٥٥) فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح ص/٣٦٠ .

(٥٦) ٣٨٧/١ .

(٥٧) طبقات الاسنوي ٤٥٠/١ ـ ٤٥١ .

(٥٨) منه نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم (٦١) ، فهرس الدار ٣٨٥/١ .

(٥٩) المزهر ٣٨٧/١ .

(٦٠) ينظر : مبحث : (صلة علم الاصول باللغة) للدكتور محمد فوزي فيض الله ، في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ، الجزء الثاني ، ص/٣٢ ـ ١٢٣ (١٩٧٢ م) وللاستاذ محمد تقي الحكيم مبحث : (بحوث لغوية تطورت على ايدي علماء الاصول) القاه في (دورة) مجمع اللغة العربية في بغداد ١٩٦٥م .

(٦١) طبقات ابن الجزري ٢٢٥/١ ، ومعرفة القراء الكبار ١١٦/١ .

(٦٢) الفهرس ص/٣٦ .

(٦٣) منه نسخ مخطوطة في : باريس ، وبايزيد ، وعندي مصورة منه .

(٦٤) منه نسخة في (ولي الدين برقم ٥٢) .

(٦٥) منه نسخة في (ولي الدين برقم ٥٢) .

في كتابه (الوجوه والنظائر)(٦٦) ، وهذه الكتب لم تزل مخطوطة(٦٧) . وقد طبع منها كتاب : (درة التنزيل وغرة التأويل)(٦٨) لابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي (ت/٤٣١ هـ) .

ووجه التأليف في هذه الاثار : الاتيان بالالفاظ المختلفة الوجوه والتي وردت بها الكلمات الكثيرة الاستعمال ، أو بمعنى آخر : عالجت هذه الكتب الالفاظ التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها في كتاب الله عز وجل(٦٩) .

وقد انكر ابن درستويه لما اسماه اللغويون : (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ايضا بقوله : « ان البنائين اذا اختلفا فقد اختلف اللفظان ، وان اتفقت الحروف وانما المتفق في اللفظ ما اتفق في البناء وفي الحروف ، فاذا اتفق البناء آن في الكلمة والحروف ثم جاءا لمعنيين مختلفين لم يكن بد من رجوعهما الى معنى واحد يشتركان فيه ، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى »(٧٠) .

ثم قال : « ولكن الامثلة عند جميعهم موضوعة لاختلاف معاني الافعال في انفسها ، لا لاختلاف اوقاتها ، وهذا ما يوجبه العقل والنظر »(٧١) .

ولعل من اقوى حجج المبطلين للاضداد من المتقدمين ، قولهم : اذا وقع الحرف (الكلمة) على معنيين متضادين فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع والمجاز ، فمن ذلك : الصريم ، يقال لليل صريم ، وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد وهو القطع ، وهذا يكون الى البلاغة أقرب منه الى اللغة ، وهي تكمل (البلاغة) بالتشبيهات والاستعارات والمجازات ؛ كما يقول ابن درستويه(٧٢) لانه من المحال ان يوقع العربي الكلمة على معنيين متضادين بمساواة منه بينهما .

قال ابن درستويه(٧٣) : « فاما من لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من النحويين واللغويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق ، فظنوا انهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات انفسهم ، فان كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب ، فقد (اخطأوا) عليهم في تأولهم ما لا يجوز في الحكمة » .

وان ما اعتبر من مادة الاضداد هذه او (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لم يتفق عليه المفسرون ايضا ، قالت به طائفة وانكرته اخرى(٧٤) .

مشكلة الاضداد والتخلص منها :

لقد أصبحت الاضداد مشكلة من مشاكل(٧٥) اللغة العربية ، وقد عالجها كثير من الباحثين المعاصرين ، من المستشرقين(٧٦) والعرب(٧٧) ، ومباحثهم كانت تتباين عندهم عمقا وضحالة ، نتيجة لتوفرهم على درس لغة العرب أو الوقوف على علومها عن كثب ، من جهة ، ومن جهة اخرى نتيجة لقدر ثقافتهم اللغوية ومنهم : الدكتور منصور فهمي(٧٨)(ت/١٩٥٩م) الذي اجتهد بعرض أسباب التخلص منها ، مجملا مقالته فيما يأتي :ـ

---

(٦٦) منه نسخ كثيرة في ، بغداد ، القاهرة والهند ، وعندي مصورة كتبت سنة ٦٩٩هـ وهي اقدم هذه النسخ ، ينظر : مؤلفات ابن الجوزي ص/٢٨٩ ومنها مصورات في معهد المخطوطات العربية ، ينظر : فهرس المخطوطات المصورة ١٩/١ ، ٥٠ .

(٦٨) طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٩م .

(٦٩) ينظر : مقدمة (درة التنزيل) ومقدمة (الوجوه والنظائر) لابن الجوزي الورقة الاولى / أ ، وتاويل مشكل القرآن ص/٢٤٢ (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة) .

(٧٠) التصحيح الورقة/٤٤ ـ ب .

(٧١) التصحيح الورقة/١٨٧ .

(٧٢) التصحيح الورقة/١٧٥ ـ أ .

(٧٣) التصحيح ، الورقة/٢١ أ .

(٧٤) التطور اللغوي التاريخي ، للدكتور السامرائي ص/٩٦ مبحث (الاضداد) .

(٧٥) التطور اللغوي التاريخي ، للدكتور ابراهيم السامرائي ص/٨٩ .

(٧٦) ومنهم : ت . م . ردسلوب Th. M. Red Sold في رسالة (الاضداد) نشرها سنة ١٨٧٣م في (جوتنجن) بالالمانية ، وفردريك F. Giese مبحث عن (الاضداد) وجمع فيه ما ورد منها في الشعر الجاهلي ، واحصى فيه التتين وعشرين ضدا ، ونشره في برلين سنة ١٨٩٤م ، وج فايل G. Weil في دائرة المعارف الاسلامية (الاضداد) ٢٩١/٢ .

(٧٧) ومنهم : محمد الخضري في (اصول الفقه) ص/١٧٢ ـ ١٧٤ (ط/١) ، ومحمد الطاهر بن عاشور في مجلة (الهداية الاسلامية) في القاهرة م٦ ج٦ ، وكان قد القاها في موءتمر لغوي عقد في تونس ١٣٥٠هـ والدكتور منصور فهمي ، في مجلة مجمع اللغة العربية ، ٢٢٨/٢م ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم في مجلة مجمع اللغة العربية م/١٧ ص/٧١ والدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه : التطور اللغوي التاريخي فصل (مشكلة الاضداد) ص/٨٩ ـ ١٠٣،والدكتور صبحي الصالح في : فقه اللغة ص/٣٥٩ .

(٧٨) مجلة مجمع اللغة العربية م/٢ ص/٢٤٤ .

١ ـ يجب ان يبحث بدقة عن الكلمات التي قيل فيها انها من الاضداد وذلك بانتحال مادة المعجمات اللغوية .

٢ ـ يجب ان تخصص كل كلمة منهما بمعنى ، ويكون تضادها تضادا حقيقيا .

٣ ـ ارجاع مادة الاضداد الى اصولها اللغوية .

ويمكن اضافة اسباب اخرى الى هذه الاسباب ، منها :

ان القيام بمحاولة ارجاع اللفظة الثلاثية الى الثنائية ، كما ذهب الى هذا الأب مرمرجي الدومنيكي(٧٩) ، وهذه المحاولة يراد لها علماء ينقطعون لدرس اللغة والتعمق في خصائصها ، لانها لم تصب نصيبا من البحث عند الاقدمين(٨٠) .

وان هذه المادة التي ازدحمت بها كتب (الاضداد) وانتشرت في معجمات اللغة ، لآخذة بالانقراض ، حيث انها الان تعد من الموات اللغوى ، وهي فيها اشبه بالنفائس والاعلاق الاثارية في أروقة المتاحف ، وان في اللغة العربية متسعا من أساليب القول ، وفيها من الرحب وضروب المجاز والاشتقاق والاستعارات ما يغني عن هذه (الاضداد) وانها ما ضاقت يوما على المتكلم عند الخطاب والاطالة والاطناب .

(٧٩) ينظر : المعجمية العربية ص/٢٢٩ و : هل العربية منطقية ص/١٣٥ . وينظر : (ن والقلم وما يسطرون ، بحث في اسرار الحروف العربية المعجمية) للدكتور مصطفى جواد في مجلة المجمع العلمي العراقي،م/١٩ ص/١٢١ (١٩٧٠م) .

(٨٠) ومن القائلين بها من الاقدمين : الراغب الاصفهاني الحسين ابن محمد (ت/٥٠٢ هـ) وعليها بني مادة كتابه : (مفردات القرآن) ، وينظر عن الثنائية : سر الليال ص/٣٢٩ ، وفقه اللغة للصالح ص/١٧٩ ، والمعجمية العربية على ضوء الثنائية في الالسنة السامية ، للاب مرمرجي (ط/القدس) .

ومن هنا يتبدى للباحث صواب ما ذهب اليه ابن درستويه ، ومدى أهمية مذهبه في ابطال الاضداد ، وان كان مسرفا في انكاره .

ولعله تلطف في انكاره لها بقوله(٨١) : « اللغة موضوعة للابانة ، والمشترك تعمية ، ولكن قد جاء منه النادر لعلل ، فيتوهم من لا يعرف العلل ان اللفظ وضع لمعنيين ، والسماع في ذلك صحيح عن العرب ، وانما يجيء ذلك من لغتين أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان ، وخفي ذلك على السامع ، فتاول فيه الخطأ » ا هـ .

وربما كان مذهبه هذا في نكران التضاد سببا لاعتدال بعض اللغويين في اختيار الاضداد ، كما فعل ابن سيده ، والسيوطي ، حيث بلغ ما احصياه نحوا من مائة كلمة فيها معنى التضاد(٨٢) ، وقد ذهب الدكتور ابراهيم انيس(٨٣) الى انه ليس في المادة التي أوقعها العرب على التضاد أكثر من عشرين كلمة تفيد التضاد بالمعنى العلمي الدقيق .

ومن عجب ان ابن درستويه ذكر لفظة واحدة من الاضداد وهي (النقو) وصرح انها من : (الاضداد ، على ما يذهب اليه اللغويون)(٨٤) ، ولعله اقر بوجودها تلميحا ، ولم يصرح بوجودها ، وهو الذي قال بانكارها وافرد له مؤلفا خاصا . وذكره لها يؤيد ما ذهبنا اليه من انه تلطف في نكرها .

(٨١) التصحيح ، الورقة/١/٢١ .

(٨٢) في اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ص/٢٠٧ ، والمزهر ١/٣٨٩ ـ ٣٩٩ ، والمخصص (باب الاضداد) ١٣/٢٥٩ .

(٨٣) في كتابه : في اللهجات العربية ص/٢١٥ ، وينظر : الاضداد مبحث للمستشرق فايل Weil في دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢٩٢ .

(٨٤) التصحيح ، الورقة /١/٢٢٠ .